تثبيت قصة

الهمداني مع الجويني في مسألة العلو

تأليف

الشيخ: عبدالكريم بن قادر الكثيري حفظه الله

1444 هـ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تثبيت قصة

الهمداني مع الجويني في

مسألة العلو

تأليف

الشيخ: عبدالكريم بن قادر الكثيري حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد؛ فهذا ذكر لقصة الهمداني مع إمام الجهمية الأشعرية الجويني وذلك حين أَكَلَّهُ بِالحُجَّة فبكته وأسكته وأوقع في حيرة ودهشة فكان في حاله كالذي قال الله ﷻ عنه { **فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ** } [البقرة: 258]،الآية.

قوله ﷻ { **فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ** } وتأويله انقطع وسَكتَ متحَيِّراً، يقال: بهِتَ الرجل يُبْهَتُ بهْتاً إِذا انقطع وتحير.

قال ابن أبي حاتم رحمه الله في **تفسيره (2/ 499):** أَخْبَرَنَا عَمْرُو بْنُ ثَوْرٍ الْقَيْسَارِيُّ فِيمَا كَتَبَ إِلَيَّ ثنا الْفِرْيَابِيُّ، قَالَ: قَالَ: سُفْيَانُ رحمه الله، قَوْلُهُ: { **فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ** } قَالَ: " **فَسَكَتَ، فَلَمْ يُجِبْهُ بِشَيْءٍ** ".

وقال حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَلَمَةَ قَالا ثنا سَلَمَةُ، عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: { **فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ** } يَقُولُ: " **وَقَعَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ يَعْنِي: نُمْرُوذَ. وَبِهِ فِي قَوْلِهِ: { وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ } أَيْ: لا يَهْدِيهِمْ فِي الْحُجَّةِ عِنْدَ الْخُصُومَةِ، بما هم عليه من الضلالة** ".

قال الطبري في **تفسيره (4/ 577):** حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: ثنا سَلَمَةُ، قَالَ: ثني مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: " { **وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ** } [البقرة: 258] **أَيْ لَا يَهْدِيهِمْ فِي الْحُجَّةِ عِنْدَ الْخُصُومَةِ لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالَةِ** ".

قلت: قوله: " **وَقَعَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ** "، هذا يقوي مذهب أهل الحديث في أن مناظرة الموحد للمشرك بالرد عليه وتفنيد باطله زيادة في إقامة الحجة عليه خلافًا لسفسطات الجاحظية والحزمية من المنتسبين - زورا - للسلفية من أن ذلك لا تحصل به إقامة الحجة مطلقًا، فضلاً عن أن من زيادة قطع الاعذار.

بل صورة إقامة الحجة عندهم هي أن ينتفي عن المخالف كل الشبه ويستيقن وجه الحق ثم يصر ويعاند فحينئذ يكفر وقد يتنطع بعضهم ويقول يكفره القاضي ....

وهذا النوع لا يكاد يوجد في أصناف الكفار إلا قليلا.

جاء في كتاب الإحكام في أصول الأحكام - لابن حزم (1/ 74): " وكل ما قلنا فيه إنه يفسق فاعله أو يكفر بعد قيام الحجة عليه فهو ما لم تقم عليه الحجة معذور مأجور وإن كان مخطئا وصفة قيام الحجة عليه هو أن تبلغه فلا يكون عنده شيء يقاومها ".

وقال في الإحكام في أصول الأحكام (4/ 236): " وقد فرق بعض السلف بين الداعية وغير الداعية قال أبو محمد وهذا خطأ فاحش وقول بلا برهان ولا يخلو المخالف للحق من أن يكون معذورا بأنه لم تقم عليه الحجة أو غير معذور لأنه قامت عليه الحجة فإن كان معذورا فالداعية وغير الداعية سواء كلاهما معذور مأجور وإن كان غير معذور لأنه قد قامت عليه الحجة فالداعية وغير الداعية سواء وكلاهما إما كافر كما قدمنا وإما فاسق كما وصفنا وبالله تعالى التوفيق ولا فرق فيما ذكرنا بين من يخالف الحق بنحلة أو بفتيا إذا لم يفرق الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وسلم بين ذلك ".

قلت: هذا الكلام الباطل الذي جعل أصلا في عصرنا لدى كثير من الطوائف في التعامل مع أعيان المعطلة لا صلة له بأصول أصحاب الحديث.

فإن تارك التوحيد والإيمان ومناقضه لا يسمى مسلمًا أبدا حتى يجتمع الليل والنهار.

والذي يصفه بالإسلام ولا يكفره إلا بعد أن يعاند حجة الله تعالى ويستجيز مخالفتها بعد تبينها له فهو على أصول الجاحظ وابن حزم يقتفي وليس على خطى السلف وإن تسمى بالسلفي والأثري - فافهم هديت الرشد -

قال الطبري في تفسيره (10/ 160): حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُعَاذٍ، قَالَ: ثنا يَزِيدُ، قَالَ: ثنا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ: { **قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ** } [سورة: الأعراف، آية رقم: 32] : " مَنْ عَمِلَ بِالْإِيمَانِ فِي الدُّنْيَا خَلَصَتْ لَهُ كَرَامَةُ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ تَرَكَ الْإِيمَانَ فِي الدُّنْيَا قَدِمَ عَلَى رَبِّهِ لَا عُذْرَ لَهُ ".

قال ابن أبي حاتم رحمه الله في تفسيره (2/ 672): حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ، ثنا مُوسَى بْنُ مُحْكَمٍ، ثنا أَبُو بَكْرٍ الْحَنَفِيُّ، ثنا عَبَّادُ بْنُ مَنْصُورٍ قَالَ: سَأَلْتُ الْحَسَنَ رحمه الله عَنْ قَوْلِهِ: { **هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ** } فَقَالَ: " يُعْذَرُ مَنْ حَاجَّ بِعِلْمٍ، وَلَا يُعْذَرُ مَنْ حَاجَّ بِالْجَهْلِ ".

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ، ثنا مُوسَى بْنُ مُحْكَمٍ، ثنا أَبُو بَكْرٍ الْحَنَفِيُّ، ثنا عَبَّادُ بْنُ مَنْصُورٍ قَالَ: سَأَلْتُ الْحَسَنَ رحمه الله عَنْ قَوْلِهِ عز وجل: { **فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ** } قَالَ: " **لَا يُعْذَرُ مَنْ حَاجَّ بِالْجَهْلِ** ".

قال أحمد رحمه الله في مسنده (11/ 395): حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، أَخْبَرَنَا هِشَامٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ ﷺ: " **إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤَسَاءَ جُهَّالًا، فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا** ".

ولا نشك أن معارضات الجهمية في التوحيد هي جهالات كلامية فلسفية لا صلة لها بالوحي المبين، لا منطوقا ولا استمدادا.

وقد أسند ابن بطة رحمه الله في الإبانة الكبرى (2/ 536): فقال حَدَّثَنِي أَبُو صَالِحٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ، قَالَ: حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ الْوَلِيدِ الْكِنْدِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا يُوسُفَ، يَقُولُ: " **الْعِلْمُ بِالْكَلَامِ جَهْلٌ، وَالْجَهْلُ بِالْكَلَامِ هُوَ الْعِلْمُ** ".

وقد ظهر من خلال هذه القصة مدى معاكسة الجهمية المتكلمين لفطرهم ومناقضتهم ما استقر في عقول بني آدم ومحادتهم الصريحة لمنهاج المرسلين -عليهم الصلاة والسلام- الداعين لتوحيد الله الذي فوق كل شيء وعبادته بصفاته جل وعلا.

أما القصة فهي متصلة الإسناد صحيحة حيث يرويها:

يحي بن أبي منصور عن عبد القادر الرهاوي عن أبي العلاء الهمداني عن أبي جعفر الهمداني وهذه تراجمهم تباعا:

جاء في معجم الشيوخ الكبير للذهبي (2/ 378): " **يَحْيَى بْنُ أَبِي مَنْصُورِ بْنِ أَبِي الْفَتْحِ الإِمَامُ الْعَلامَةُ الْمُفْتِي الْمُحَدِّثُ الرَّحَّالُ بَقِيَّةُ السَّلَفِ سَيِّدُ الْمُعَمَّرِينَ الأَخْيَارِ عَلَمُ السُّنَّةِ جَمَالُ الدِّينِ أَبُو زَكَرِيَّاءَ الْجَيْشِيُّ الْحَرَّانِيُّ الْحَنْبَلِيُّ ابْنُ الصَّيْرَفِي ....**

أَجَازَ لِي مَرْوِيَّاتِهِ فِي سَنَةِ ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ، وَمَاتَ فِي صَفَرٍ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ.

حَدَّثَ عَنْهُ أَئِمَّةٌ وَحُفَّاظٌ ".

وفي ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (4/ 151): " ومنها التعصب فِي السنة والمغالاة فِيهَا، وقمع أهل البدع، ومجانبتهم ومنابذتهم.

ومنها: قَوْل الحق، وإنكار المنكر عَلَى من كَانَ، لَمْ يكن عنده من المداهنة والمراءاة شيء أصلاً، يقول الحق، يصدع بِهِ ".

وفي سير أعلام النبلاء (16/ 96): " عن الحَافِظُ المُحَدِّثُ الرَّحَّالُ الجَوَّالُ مُحَدِّثُ الجَزِيْرَةِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ القَادِرِ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ عَبْدِ اللهِ الرُّهَاوِيُّ، الحَنْبَلِيُّ، السَّفَّارُ، مِنْ مَوَالِي بَعْضِ التُّجَّارِ.

«ذكره ابْن نُقْطَة فَقَالَ: كَانَ عَالِماً، ثِقَة، مأمونًا، صالحًا، إِلَّا أنه كان عسرًا غي الرِّوَايَة، لَا يُكثر عَنْهُ إِلَّا مَنْ أَقَامَ عِنْدَه.

وَقَالَ أَبُو الحَجَّاجِ بن خَلِيْل: كَانَ حَافِظاً، ثَبْتاً، كَثِيْرَ السَّمَاع، كَثِيْر التَّصنِيف، مُتْقِناً، خُتِمَ بِهِ علمُ الحَدِيْث

وَتُوُفِّيَ بِحرَّانَ، فِي ثَانِي شَهْر جُمَادَى الأُوْلَى، سَنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَستّ مائَةٍ، وَلَهُ ستٌّ وَسَبْعُوْنَ سَنَةً ".

وفي سير أعلام النبلاء (21/ 40): " عن أَبُي العَلاَءِ الحَسَنُ بنُ أَحْمَدَ بنِ الحَسَنِ بنِ أَحْمَدَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ سَهْلِ بنِ سَلَمَةَ بنِ عثكل بنِ إِسْحَاقَ بنِ حَنْبَلٍ الهَمَذَانِيُّ، العَطَّارُ، شَيْخ هَمَذَانَ بِلاَ مدَافعَة.

قَالَ أَبُو سَعْدٍ السَّمْعَانِيُّ: هُوَ حَافِظ، مُتْقِن، وَمُقْرِئٌ فَاضِل، حَسَن السِّيْرَةِ، جَمِيْل الأَمْر، مَرضِيّ الطّرِيقَة، عزِيز النَّفْس، سخِيّ بِمَا يملكه، مكرم لِلْغربَاء، يَعرف الحَدِيْث وَالقِرَاءات وَالآدَاب مَعْرِفَةً حَسَنَةً، سَمِعْتُ مِنْهُ بِهَمَذَانَ.

وَقَالَ الحَافِظُ عَبْد القَادِرِ: شَيْخنَا أَشهر مِنْ أَنْ يُعرّف؛ تَعذّر وُجُوْد مِثْله مِنْ أَعصَار كَثِيْرَة، عَلَى مَا بَلَغَنَا مِنْ سير العُلَمَاء وَالمَشَايخ، أَربَى عَلَى أَهْلِ زَمَانه فِي كَثْرَة السَمَاعَات، مَعَ تَحْصِيل أُصُوْل مَا سَمِعَ، وَجَوْدَة النُّسخ، وَإِتْقَان مَا كتبه بِخَطِّهِ؛ فَإِنَّهُ مَا كَانَ يَكتب شَيْئاً إِلاّ منقوطاً معرباً، وَأَوّل سَمَاعه مِنَ الدُّوْنِيّ سَنَةَ 495، وَبَرَعَ عَلَى حُفَّاظ عصره فِي حِفْظ مَا يَتعلّق بِالحَدِيْث مِنَ الأَنْسَاب وَالتَّوَارِيخ وَالأَسْمَاء وَالكنَى وَالقصص وَالسير ".

وأيضا في سير أعلام النبلاء (20/ 101): " عن أبي جعفر مُحَمَّد ابن أَبِي عَلِيٍّ الحَسَنِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ اللهِ الهَمَذَانِيُّ

وَقدِمَ بَغْدَادَ سَنَةَ سِتِّيْنَ، فَسَمِعَ بِهَا قَلِيلاً، ثُمَّ ارْتَحَلَ، فَسَمِعَ مِنْ: أَبِي الحُسَيْنِ بنِ النَّقُّوْرِ، وَأَبِي القَاسِمِ بنِ البُسْرِيِّ، وَأَبِي نَصْرٍ الزينبي، وَخلْقٍ. وَبِنَيْسَابُوْرَ مِنَ: الفَضْلِ بنِ المُحِبِّ، وَأَبِي صَالِحٍ المُؤَذِّنِ، وَخلْقٍ.

وَبِمَكَّةَ مِنْ: أَبِي عَلِيٍّ الشَّافِعِيِّ، وَسَعْدٍ الزَّنْجَانِيِّ. وَبِجُرْجَانَ مِنْ: إِسْمَاعِيْلَ بنِ مَسْعَدَةَ، وَطَائِفَةٍ. وَبِمَرْوَ مِنْ: أَبِي الخَيْرِ مُحَمَّدِ بنِ أَبِي عِمْرَانَ. وَبِهَرَاةَ مِنْ: أَبِي إِسْمَاعِيْلَ الأَنْصَارِيِّ، وَعِدَّةٍ، وَبِهَمَذَانَ.

قَالَ السَّمْعَانِيُّ: سَافَرَ الكَثِيْرَ إِلَى البُلْدَانِ الشَّاسِعَة، وَنَسخَ بِخَطِّهِ، وَمَا أَعْرِفُ أَحَداً فِي عَصرِهِ سَمِعَ أَكْثَرَ مِنْهُ.

تُوُفِّيَ أَبُو جَعْفَرٍ: فِي نِصْفِ ذِي القَعْدَةِ، سَنَةَ إِحْدَى وَثَلاَثِيْنَ وَخَمْسِ مائَةٍ ". انتهى

وقد وصفه تلاميذه كأبي العلاء العطار الهمداني وأبي عبد الله الجوزقاني الهمداني في كتابه "الأباطيل" وأبي سعد السمعاني في كتبه نعتوه بالحافظ.

وقد ادعى الجهمي البليد سعيد فودة في مقطع منشور الطعن في القصة ليستر عورة إمامه وفضيحة مذهبهم الملحد بسبب أن أبا جعفر الهمداني واسمه الحسن بن الحسين بن حمكان قد حكم عليه ابن كثير بالضعف والنكارة ....

فدلس ولبس على مريديه والسامعين والواقع أن هذا الحسن بن الحسين الذي ذكره ليس أبا جعفر الهمداني الذي هو محمد بن أبي علي الحافظ.

قال ابن كثير في البداية والنهاية (11/ 354): " الْحَسَنُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ حَمَكَانَ أَبُو عَلِيٍّ الهمدانيّ، أَحَدُ الْفُقَهَاءِ الشَّافِعِيَّةِ بِبَغْدَادَ، عُنِيَ أَوَّلًا بِالْحَدِيثِ فسمع منه أبو حامد المروزي وَرَوَى عَنْهُ الْأَزْهَرِيُّ، وَقَالَ: كَانَ ضَعِيفًا لَيْسَ بِشَيْءٍ فِي الْحَدِيثِ ".

وفي تاريخ بغداد (8/ 254): " سمعت الأزهري، يَقُولُ: أَبُو عَلِيّ بن حمكان ضعيف ليس بشيء فِي الحديث ".

وقد ولد الحافظ أبو جعفر الهمداني بَعْدَ الأَرْبَعِيْنَ وَأَرْبَعِ مائَةٍ وبن حكمان توفي سنة خمس وأربع مائة.

فالمقصود أن حين ولادة أبي جعفر الهمداني كان ابن حمكان في عداد الأموات والله المستعان.

وهذه بعض المصادر التي ذكرت القصة:

جاء في بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (1/ 50): " قال الحافظ أبو منصور بن الوليد البغدادي في رسالته التي كتبها إلى «الفقيه محمود الزنجاني» أن «أبا محمد الحافظ الحراني» يعني: «عبد القادر الرهاوي» أنا الحافظ «أبو العلاء» يعني: الهَمْداني أنا «أبو جعفر» الحافظ سمعت «أبا المعالي الجويني»، وقد سئل عن قوله ﷻ: { ٱلرَّحۡمَـٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ } [طه: 5] . وقال: كان الله ولا عرش، وجعل يتخبط في الكلام، فقلت: يا هذا قد علمنا ما أشرت إليه، فهل عندك للضرورات من حيلة، فقال: ما تريد بهذا القول، وما تعني بهذه الإشارة، فقلت: ما قال عارف قط يا رباه، إلا قبل أن يتحرك لسانه، قام من باطنه قصد لا يلتفت يمنة ولا يسرة، يقصد الفوق، فهل لهذا القصد الضروري عندك من حيلة، فبينه لنا لنتخلص من الفوق، وبكيت وبكى الخلق، فضرب بكمه على السرير، وصاح بالحيرة، وخرق ما كان عليه وانخلع وصارت قيامة في المسجد، وترك ولم يجبني إلا بيا حبيبي الحيرة، والدهشة الدهشة، وسمعت بعد ذلك أصحابه يقولون: سمعناه يقول: حيرني «الهمداني».

ولهذا روى عنه «أبو الفتح محمد بن علي الطبري» الفقيه قال: دخلت على الإمام «أبي المعالي الجويني» الفقيه، نعوده في مرضه الذي مات فيه بنيسابور، فأقعد. فقال لنا: «اشهدوا علي أني قد رجعت عن كل مقالة قلتها أخالف فيها ما قال السلف الصالح، وإني أَموت على ما يموت عليه عجائز نيسابور» رواها عنه «الحسن بن العباس الرستمي الأصبهاني» مفتي أصبهان ومحدثهم، قال حدثنا «أبو الفتح» فذكرها كما ذكرها «ابن الوليد» فلما تكلم «أبو المعالي» على منبره، في نفي علو الله على العرش، بأن الله كان قبل العرش، ولم يتجدد له بالعرش حال، قام إليه هذا الشيخ «أبوجعفر الهمداني» الحافظ، فقال: قد علمنا ما أشرت إليه، أي: دعنا من ذكر العرش، فإن العلم بذلك سمعي عقلي، ودعنا من معارضة ذلك بهذه الحجج القياسية، فهل عندك للضرورات من حيلة، أي: كيف تصنع بهذه الضرورة الموجودة في قلوبنا؟ ما قال عارف قط: يا رباه إلا قبل أن يتحرك لسانه، قام من باطنه قصد لا يلتفت يمنة ولا يسرة، يقصد الفوق، فهل لهذا القصد الضروري عندك من حيلة، فبينها نتخلص من الفوق والتحت، قال: فصاح «أبو المعالي» وضرب على السرير، وخرق ما كان عليه، ولم يجبه إلا بقوله: الحيرة الحيرة، الدهشة الدهشة، وكان يقول: حيرني الهمداني ".

وفي سير أعلام النبلاء (18/ 477): أَخْبَرَنَا يَحْيَى بنُ أَبِي مَنْصُوْرٍ الفَقِيْه فِي كِتَابِهِ، عَنْ عبدِ القَادرِ الحَافِظ، أَخْبَرَنَا أَبُو العَلاَءِ الهَمَذَانِيّ، أَخْبَرَنِي أَبُو جَعْفرٍ الحَافِظ، سَمِعْتُ أَبَا المَعَالِي وَسُئِلَ عَنْ قوله ﷻ: { ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ } [طه: 5] فَقَالَ: " كَانَ اللهُ وَلاَ عرش. وَجَعَلَ يَتخبَّطُ، فَقُلْتُ: هَلْ عِنْدَك لِلضرُوْرَاتِ مِنْ حِيلَةٍ؟

فَقَالَ: مَا مَعْنَى هَذِهِ الإِشَارَة؟

قُلْتُ: مَا قَالَ عَارِف قَطُّ: يَا رباه! إِلاَّ قَبْلَ أَنْ يَتحرك لِسَانه، قَامَ مِنْ بَاطِنه قصدٌ لاَ يَلتفت يمنَةً وَلاَ يسرَةً - يَقصِد الفَوْقَ - فَهَلْ لِهَذَا القصدِ الضَّرُوْرِيِّ عِنْدَك مِنْ حِيلَة؛ فَتُنْبِئَنَا نَتخلَّص مِنَ الْفوق وَالتّحت؟ وَبكَيْتُ وَبَكَى الخَلْقُ، فَضَرَبَ بكُمِّه عَلَى السَّرِيْر، وَصَاح بِالحَيْرَة، وَمَزَّق مَا كَانَ عَلَيْهِ، وَصَارَت قِيَامَةٌ فِي المَسْجَدِ، وَنزلَ يَقُوْلُ: يَا حَبِيْبِي! الحيرَةَ الحيرَة، وَالدّهشَةَ الدّهشَة».

«وقد أخبرنا يحيى بن أبي منصور الفقيه وغيره في كتابهم عن الحافظ عبد القادر الرّهاويّ أنّ الحافظ أبا العلاء الهَمَذانيّ أخبره قال: أخبرني أبو جعفر الهَمَذانيّ الحافظ قال: سمعتُ أبا المعالي الْجُوَيْنيّ، وقد سُئل عن قوله ﷻ: { ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ } [طه: 5] فقال: كان الله ولا عرش، وجعل يتخبّط في الكلام، فقلت: قد علِمنا ما أشرت إليه، فهل عندك للضّرورات من حيلة؟ فقال: ما تريد بهذا القول وما تعني بهذه الإشارة؟ فقلتُ: ما قال عارف قطّ: يا ربّاه، إلّا قبل أن يتحرّك لسانه قام من باطنه قصْدٌ، لا يلتفت يَمْنَةً ولا يَسْرَةً، يقصد الفَوق. فهل لهذا القصْد الضّروريّ عندك من حيلةٍ، فنَبِّئنا نتخلَّص من الفوق والتَّحت؟ وبكيتُ، وبكى الخلْق، فضرب بكُمه على السرير، وصاح بالحَيْرة. وخرَّق ما كان عليه، وصارت قيامة في المسجد، ونزل ولم يُجبْني إلّا: يا حبيبي، الحَيْرَةَ الحَيْرَةَ والدّهشة الدّهشة! فسمعتُ بعد ذلك أصحابه يقولون: سمعناه يقول: حيرَّني الهَمَذانيّ ".

وفي تاريخ الإسلام (10/ 428): قَالَ أَبُو مَنْصُور بن الْوَلِيد الْحَافِظ فِي رِسَالَة لَهُ إِلَى الزنجاني انبأنا عبد الْقَادِر الْحَافِظ بحران أنبأنَا الْحَافِظ أَبُو الْعَلَاء أنبأنَا أَبُو جَعْفَر بن أبي عَليّ الْحَافِظ قَالَ سَمِعت أَبَا الْمَعَالِي الْجُوَيْنِيّ وَقد سُئِلَ عَن قوله ﷻ: { ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ } [طه: 5] فَقَالَ كَانَ الله وَلَا عرش وَجعل يتخبط فِي الْكَلَام فَقلت قد علمنَا مَا أَشرت إِلَيْهِ فَهَل عنْدك للضرورات من حِيلَة فَقَالَ مَا تُرِيدُ بِهَذَا القَوْل وَمَا تَعْنِي بِهَذِهِ الْإِشَارَة فَقلت مَا قَالَ عَارِف قطّ يَا رباه إِلَّا قبل أَن يَتَحَرَّك لِسَانه قَامَ من بَاطِنه قصد لَا يلْتَفت يمنة وَلَا يسرة يقْصد الفوق فَهَل لهَذَا الْقَصْد الضَّرُورِيّ عنْدك من حِيلَة فنبئنا نتخلص من الفوق

والتحت وبكيت وَبكى الْخلق فَضرب الْأُسْتَاذ بكمه على السرير وَصَاح ياللحيرة وخرق مَا كَانَ عَلَيْهِ وانخلع وَصَارَت قِيَامَة فِي الْمَسْجِد وَنزل وَلم يجبني إِلَّا يَا حَبِيبِي الْحيرَة الْحيرَة والدهشة الدهشة فَسمِعت بعد ذَلِك أَصْحَابه يَقُولُونَ سمعناه يَقُول حيرني الْهَمدَانِي ".

فالإسناد للقصة صحيح يرويه حفاظ ثقات فلا غبار عليه ومن أجل ذلك ارتفعت أصوات أفراخ الجهمية في تكذيبها والطعن فيها بلا برهان ولا حجة وهم الذين يقبلون المكذوب والذي لا أصل له إذا خدم باطلهم فأنى يؤفكون.

قال الجهمي السبكي الابن في طبقات الشافعية الكبرى (5/ 190): " قلت قد تكلّف لهَذِهِ الْحِكَايَة وأسندها بِإِجَازَة على إجَازَة مَعَ مَا فِي إسنادها مِمَّن لَا يخفى محاطة على الْأَشْعَرِيّ وَعدم مَعْرفَته بِعلم الْكَلَام.

ثمَّ أَقُول يَا لله وَيَا لْلمُسلمين أيقال عَن الإِمَام إِنَّه يتخبط عِنْد سُؤال سَأَلَهُ إِيَّاه هَذَا الْمُحدث وَهُوَ أستاذ المناظرين وَعلم الْمُتَكَلِّمين أَو كَانَ الإِمَام عَاجِزا عَن أَن يَقُول لَهُ كذبت يَا مَلْعُون فَإِن الْعَارِف لَا يحدث نَفسه بفوقية الجسمية وَلَا يحدد ذَلِك إِلَّا جَاهِل يعْتَقد الْجِهَة بل نقُول لَا يَقُول عَارِف يَا رباه إِلَّا وَقد غَابَتْ عَنهُ الْجِهَات وَلَو كَانَت جِهَة فَوق مَطْلُوبَة لما منع الْمُصَلِّي من النّظر إِلَيْهَا وشدد عَلَيْهِ فِي الْوَعيد عَلَيْهَا.

وَأما قَوْله صَاح بِالْحيرَةِ وَكَانَ يَقُول حيرني الهمذاني فكذب مِمَّن لَا يستحيي وليت شعري أَي شُبْهَة أوردهَا وَأي دَلِيل اعْتَرَضَهُ حَتَّى يَقُول حيرني الهمذاني ثمَّ أَقُول إِن كَانَ الإِمَام متحيرا لَا يدْرِي مَا يعْتَقد فواها على أَئِمَّة الْمُسلمين من سنة ثَمَان وَسبعين وَأَرْبَعمِائَة إِلَى الْيَوْم فَإِن الأَرْض لم تخرج من لدن عَهده أعرف مِنْهُ بِاللَّه وَلَا أعرف مِنْهُ فيالله مَاذَا يكون حَال الذَّهَبِيّ وَأَمْثَاله إِذا كَانَ مثل الإِمَام متحيرا إِن هَذَا لخزي عَظِيم.

ثمَّ لَيْت شعري من أَبُو جَعْفَر الهمذاني فِي أَئِمَّة النّظر وَالْكَلَام وَمن هُوَ من ذَوي التَّحْقِيق من عُلَمَاء الْمُسلمين، ثمَّ أعَاد الذَّهَبِيّ الْحِكَايَة عَن مُحَمَّد بن طَاهِر عَن أبي جَعْفَر وَكِلَاهُمَا لَا يقبل نَقله وَزَاد فِيهَا أَن الإِمَام صَار يَقُول يَا حَبِيبِي مَا ثمَّ إِلَّا الْحيرَة فَإنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون لقد ابتلى الْمُسلمُونَ من هَؤُلَاءِ الجهلة بمصيبة لَا عزاء بهَا .... ". انتهى

وفي الختام أعرض لأمور مهمة في هذه القصة:

أولا: حيرة الجويني الداعي لها هو أن كان يسفسط بعلوم كلامية غاية ما تفيد عندهم علما نظريا فعارضه الهمداني بذكائه وفطنته **بضرورة الفطرة والحس** التي لا تختلف ولا تضطرب ولا تقاوم.

فوقع في نفس الجويني تعارض بين الدليل الكلامي النظري وبين داعي الفطرة الضروري فاحتار وارتاب.

وفي بيان تلبيس الجهمية (1/ 54): " ولأن هذه الضرورة الموجودة في القلوب علمًا وقصدًا، ولا يمكن أحدٌ نزعها إلا بإحالة الفطر، كما قال النبي ﷺ: " **كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟** ".

ثانيا: أن حجة الفطرة على علو الله تعالى ومباينته للمخلوقات برهان قاطع وشاهد صدق على أن سفسطات المتكلمة حجج متهافتة مالها من قرار وتركيبها أوهن من بيت العنكبوت فلا عذر لهم.

حيث أن الهمداني تكلم بلسان بني آدم جميعهم الذي تنكره الجهمية.

جاء في خلق أفعال العباد للبخاري (ص31): وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ: " **الْجَهْمِيَّةُ أَشَرُّ قَوْلًا مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، قَدِ اجْتَمَعَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، وَأَهْلُ الْأَدْيَانِ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى الْعَرْشِ، وَقَالُوا هُمْ: لَيْسَ عَلَى الْعَرْشِ شَيْءٌ** ".

قال أبو سعيد الدارمي في كتابه النقض (1/ 228): " **فَحُصَيْنٌ الْخُزَاعِيّ فِي كفره يؤمئذ كَانَ أَعْلَمَ بِاللَّهِ الْجَلِيلِ الْأَجَلِّ مِنَ الْمَرِيسِيِّ وَأَصْحَابِهِ مَعَ مَا يَنْتَحِلُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ، إِذْ مَيَّزَ بَيْنَ الْإِلَهِ الْخَالِقِ الَّذِي فِي السَّمَاءِ وَبَيْنَ الْآلِهَةِ وَالْأَصْنَامِ الْمَخْلُوقَةِ الَّتِي فِي الْأَرْضِ.**

وَقَدِ اتَّفَقَتِ الْكَلِمَةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْكَافِرِينَ أَنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ، وَحَدُّوهُ بِذَلِكَ إِلَّا الْمَرِيسِيَّ الضَّالَّ وَأَصْحَابَهُ، حَتَّى الصِّبْيَانُ الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ قَدْ عَرَفُوهُ بِذَلِكَ، إِذَا حَزَبَ الصَّبِي شَيْء يرفع يَدَيْهِ إِلَى رَبِّهِ يَدْعُوهُ فِي السَّمَاءِ دُونَ مَا سِوَاهَا، فَكُلُّ أَحَدٍ بِاللَّهِ وَبِمَكَانِهِ أَعْلَمُ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ ". انتهى

ولذلك بكى أهل المسجد من العامة تصديقا لقول الهمداني **حيث قال وبكيت وَبكى الْخلق،** فضرب بكُمه على السرير، وصاح بالحَيْرة. وخرَّق ما كان عليه، **وصارت قيامة في المسجد** ....

فاللهم لك الحمد على نعمة التوحيد والسنة.

والحمد لله رب العالمين

